

الازمة البلقانية الاولى ١٩٠٨-١٩٠٩

خضعت بلاد البلقان للحكم العثماني منذ اواخر القرن الرابع عشر، وكانت تتألف من بلاد اليونان وصربيا وبلغاريا ورومانيا (مولدافيا ووالاشيا اوالافلاق والبغدان) والجبل الاسود والبوسنة والهرسك. وقد قامت شعوب البلقان بسلسلة من الثورات ضد الحكم العثماني في القرن التاسع عشر بسبب نمو المشاعر القومية فيها من جهة وسوء الادارة العثمانية من جهة اخرى. وقد ايدت روسيا القيصرية هذه الثورات وتورطت في اكثر من حرب مع الدولة العثمانية. وقد قامت روسيا بهذا الدور باعتبارها حامية المسيحيين الارثوذكس في البلقان والعنصر السلافي فيها. ونتيجة لهذه الثورات والدعم الروسي حصلت اليونان على الاستقلال في سنة ١٨٣٢م، كما حصلت صربيا ورومانيا على استقلال ذاتي في سنة ١٨٢٩م. وفي صيف سنة ١٨٧٨م قرر مؤتمر برلين منح صربيا ورومانيا الاستقلال التام ومنح بلغاريا استقلالاً ذاتياً تحت حكم الملك الاسكندر دوبانتبرغ الذي يؤيد نفوذ روسيا، كما اعلن المؤتمر استقلال الجبل الاسود، واسند الى الامبراطورية النمساوية-المجرية احتلال وادارة منطقتي البوسنة والهرسك على ان تبقى جزءاً من الدولة العثمانية.

كانت روسيا القيصرية تعد البلقان منطقة نفوذ روسية، كما كانت تسعى الى فتح المضائق العثمانية (البسفور والدردينيل) بوجه السفن الحربية الروسية من والى البحر الاسود. إلا ان الدول الكبرى، وبخاصة بريطانيا كانت تعارض المساعي الروسية بخصوص المضائق العثمانية. ومنذ

سبعينيات القرن التاسع عشر بدأت روسيا تواجه منافسة من الامبراطورية النمساوية-المجرية في البلقان. فبعد خسارة اخر ممتلكاتها في ايطاليا واخراجها من الاتحاد الالماني اصبح الشغل الشاغل للامبراطورية النمساوية-المجرية هو توسيع منطقة نفوذها في بلاد البلقان واطلق على هذا التوجه الجديد اسم "الاندفاع نحو الشرق-Drang nach Osten". وقد حصلت الامبراطورية النمساوية-المجرية على حق ادارة مقاطعتي البوسنة والهرسك بموجب معاهدة برلين سنة ١٨٧٨م كما قبلت مملكة صربيا وصاية هذه الامبراطورية منذ سنة ١٨٨٠م وقد توصلت كل من روسيا القيصرية والامبراطورية النمساوية-المجرية الى عقد معاهدة في سنة ١٨٩٧م اكدت الحفاظ على الوضع الراهن Status quo في منطقة البلقان. وتفرغت روسيا بعد ذلك لاطماعها في الشرق الاقصى، خاصة في اقليم منشوريا، إلا ان هذه المعاهدة خرقت من قبل الامبراطورية النمساوية-المجرية بعد حوالي عشر سنوات وتسببت بذلك في ظهور الازمة البلقانية الاولى.

ففي سنة ١٩٠٣م حصل انقلاب في بلغراد، عاصمة صربيا، ادى الى مقتل الملك الكسندر اوبرنوفتش A. Obrenovic الذي كان مؤيداً للنمسا. وقد حل محله ملك جديد مؤيد للروس هو بيتقره جورجوفيتش P. Karageorgovic الذي اقام حكماً برلمانياً وحصل على مساعدات مالية وعسكرية من فرنسا وسرعان ما انتهت مملكة صربيا الوصاية النمساوية-المجرية. وقد جاءت هذه الاحداث في وقت كانت الامبراطورية النمساوية-المجرية قد استفادت فيه من معاهدة ١٨٩٧م حيث توغل الرأسمال النمساوي في البلقان التي بدا وكأنها ستصبح منطقة نفوذ نمساوية. وقد شعرت الحكومة النمساوية بعد وقت قصير من انقلاب سنة ١٩٠٣م في صربيا بأن

مصالحتها البلقانية في خطر، فقد خشيتمن تعاون "سلاف الجنوب" اي مملكة صربيا ورعايا المجر من الصربيين والكرواتيين ورعايا النمسا من السلاف. وكان من شأن هذا التعاون ان يهدد كيان الامبراطورية النمساوية-المجرية ولذا فانها كانت ترغب في "خنق" صربيا التي كان من الممكن ان تلعب دوراً يماثل دور مملكة سردينيا في الوحدة الايطالية. وقد ارتأت الحكومة النمساوية-المجرية ان تؤكد نفوذها في البلقان وان تطوق مملكة صربيا بسلسلة من الاحلاف مع رومانيا وبلغاريا وخلق دولة البانية لمنع امتداد صربيا نحو بحر الادرياتيک.

والحقيقة ان هذه المخاوف النمساوية كان لها ما يبررها. ففي خريف سنة ١٩٠٥م اجتمع عدد من النواب الكروات في البرلمان النمساوي-المجري في مدينة فيوم Fuime واتخذوا قراراً يؤكد وحدة كرواتيا ومعارضتهم لسيطرة العناصر الالمانية والمجرية على الامبراطورية. وبعد وقت قصير استنكرت جمعية صربيا في مدينة زارا Zara نظام الحكم الثنائي الذي اقيم في الامبراطورية النمساوية-المجرية منذ سنة ١٨٧٦م. وفي سنة ١٩٠٥-١٩٠٦م تبنت مملكة صربيا مشروع بناء سكة حديد الدانوب-الادرياتيک، الذي سبق وان طرح في سبعينات القرن التاسع عشر، اعتماداً على قروض من البنوك الفرنسية وليس النمساوية. وقد اثارت جميع هذه الاعمال استياء وقلق الامبراطورية النمساوية-المجرية.

في هذا الوقت بالذات تم تعيين اهرنثال Aehrenthal وزيراً للخارجية في الامبراطورية النمساوية-المجرية في ١٩٠٦م كما اصبح كونراد فون هتزنendorff Conrad von Hotzendorff رئيساً للاركان العامة فيها، وكان كلاهما من دعاة اتباع سياسة متشددة تجاه صربيا. ومن جهة اخرى

انهت روسيا القيصرية خلافاتها مع بريطانيا سنة ١٩٠٧م وعادت الى تركيز انتباهها على شؤون البلقان مرة اخرى. وفي ايلول/سبتمبر سنة ١٩٠٨م عقد لقاء بين اهرنثال ونظيره الروسي ازفولسكي Izvolski وافق الاول فيه على مساندة جهود روسيا لفتح المضائق العثمانية بوجه السفن الحربية الروسية لقاء قيام الامبراطورية النمساوية-المجرية بضم البوسنة والهرسك اليها. وهكذا يتم توجيه لطة قوية الى كبرياء الصربيين الذين كانوا يأملون، منذ فترة طويلة، ضم تلك المقاطعتين الى مملكتهم. وكانت الاوضاع في الدولة العثمانية مناسبة، من جهة نظر الرجلين، لتنفيذ هذه الصفقة بسبب قيام ثورة جماعة تركيا الفتاة ضد السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩م) في تموز/يوليو ١٩٠٨م.

كان الروس بحاجة الى فسحة من الوقت لينسقوا امر الحصول على موافقة الدول المعنية بخصوص مسألة المضائق العثمانية. إلا ان اهرنثال فاجأهم في ٥ تشرين الاول/اكتوبر ١٩٠٨م باعلان ضم البوسنة والهرسك الى بلاده. وكان هذا يعني توسعاً نمساوياً على حساب مناطق سلافية. وفي الوقت نفسه شجعت النمسا بلغاريا على اعلان نفسها مملكة مستقلة عن الدولة العثمانية.

اثار الاجراء النمساوي استياء وغضب اطراف عديدة. فقد احتجت الدولة العثمانية عليه استناداً الى معاهدة برلين، واحتج الصربيون، ومن ورائهم الروس، عليه بحجة انه اخل بتوازن القوى في البلقان، واحتجت فرنسا وبريطانيا لانه يمثل خرقاً لمعاهدة برلين. ولمح ازفولسكي الى وجود خطر نزاع مسلح بين روسيا والامبراطورية النمساوية-المجرية، ولاحت الحرب وشيكة الوقوع. وقد حث كل من مولتكه وهتزنودورف رئيسي هيئتي اركان

حرب المانيا والنمسا على ان الاوان قد آن لمنازلة روسيا وفرنسا. وقد اكدت المانيا لروسيا بانها ستدعم النمسا عسكرياً اذا ما فكرت في شن الحرب عليها. وبسبب هذا الموقف الالمانى وتردد فرنسا في مساندة حليفها روسيا بشأن البلقان اضطرت روسيا الى الازدعان للامر الواقع، كما اضطرت الى ذلك مملكة صربيا. وبذلك احرزت الامبراطورية النمساوية-المجرية نجاحاً دبلوماسياً، إلا ان هذا النجاح لم يكن بلا ثمن، فقد ادى الاجراء النمساوي في البلقان الى تقارب اوثق بين دول الوفاق الثلاثي، كما انه اثار المشاعر المعادية للنمسا في صربيا حيث تشكلت جمعية خاصة فيها لنشر الدعاية المناهضة لآل هابسبرك في البوسنة وتدريب الاشخاص على الاغتيالات والتخريب، وهذه الجمعية هي جمعية اليد السوداء التي نفذت عملية اغتيال ولي عهد النمسا في ١٩١٤م الامر الذي ادى الى قيام الحرب العالمية الاولى مباشرة.